

سعدى يوسف... شاه

في مناسبة صدور أعماله «إلى آخر المقبرة»

إلى الموعد، فكان بدر شاكر السياب هو الذي أعاد صلتى بالحزب الشيوعي. وظلت علاقتى بالرجل مستمرة وسليمة، رغم تبدل الظروف السياسية. بعدما خرجت من السجن عام 1964، كان بدر في «مستشفى الميناء» في البصرة، وكنت تقريباً أزوره يومياً في المستشفى، وهو كان الشخص الثاني الذي أخبرته بنيتي بمغادرة العراق عام 1964. في السنة ذاتها، ذهبت إلى الجزائر، وكان بدر قد توفي.

وكتبت عنه قصيدة عنوانها «مرثية»، حاولت أن أستخدم فيها أسلوبه الشعري. وما زلت أعتبر بدر معلماً، على الأقل لي، في الفن الشعري. وأعتقد أن بدر شاكر

و

**اسمي قصيدة التفاصيل اليوم
بأنها قصيدة الذات الخاوية، وتفاصيل
لا تعني شيئاً**

السياب أثار أسئلة في الفن الشعري لا تزال تنتظر أجوبة. قصائده مثل «النهر والموت» و«المسيح بعد الصلب» و«أنشودة المطر»، وغيرها منجزات عجيبة في فن الشعر العربي.

“

3- الشعر في عالم اليوم صار مفتوحاً أكثر على التجريب، ومتشابكاً مع فنون ووسائط متعددة. كيف تقمّ تجربة الحدائث الشعرية العربية؟
بدر ذهب إلى لبنان، وعندما عاد من بيروت التقيت به. قال لي: الناس يتحدثون عن قصيدة «النسر»، ويتحدثون عن «الحدائث» (الثاء تحوّلت سبباً). وكان بدر يتحدث بنوع من المزاح أو السخرية عن النقاش الدائر في ذلك الوقت في الستينيات. لم يستطع بدر أن يأخذ مسألة «الحدائث» جدياً. وأنا حتى الآن، أعتقد أن بدر له حق في رأيه. لكن برأيي، إذا كان هناك اختراق حقيقي وعميق في الفن الشعري العربي، سيكون عند يوسف الخال وخليل حاوي. هذان الرجلان لم تكن مغامرتيهما الشعرية شكلية على الإطلاق. نعم، هناك شكل واضح لقصيدتيهما، لكن لم يكن عندهما لعب. قصائدهما كانت من دون شكلية متعمدة. وهما كانا أكثر طلاقة لسان من سواههما، برأيي. «البئر المهجورة» ليوسف الخال أثر شعري فذ. وخليل حاوي ليس قليل الشأن. الخال وحاوي لديهما العمق الوجودي، والابتعاد عن الشكلية. طبعاً، أنا أتحدث عن جيل الأساتذة، وأتجنب الحديث عن الساحة الحالية الآن، لأنّ فيها التباسات كثيرة.

4- ما أبرز هذه الالتباسات؟
أبرز الالتباسات عدم تمثّل الروح الحقيقية لقصيدة النثر. أعطيك مثلاً، بودليز كتب ديوان «سام باريس» الذي يضم أولى قصائد النثر، حتى يقترب من الناس. عندما فتح البولفار الأول في باريس، قرر بودليز أن يكتب للناس، وقصيدته الأولى تتحدث عن شخص فقير تحت ضوء مصباح. وهذا يعتبر تطوراً خطيراً في توجه الفن الشعري. نحن عندنا فعلنا العكس. أخذنا شكل قصيدة النثر لكي ننفضل عن الحياة ونبتعد منها. هذا البعد من الحياة في الفن الشعري العربي، لا أدري ما سببه. خوف؟ عمل المثقف العربي وارتباطه برب العمل؟ دولة وسلطات تمنعه من التعبير؟ كأنّ لسانه منعقد. الآن تقرأ ما يكتب من شعر، لن تجد الإشكالات الكبرى التي نمُرُّ بها. لا أحد يكتب عن إبادة الأمة هذه، كأننا ما زلنا في حفلة رقص مستمرة. وهذه كارثة.

الشيوعي وبدر شاكر السياب وعن العراق «الذاهب إلى آخر المقبرة».

1- أخيراً، احتفلت بعيد ميلادك الثمانين، واليوم تحتفل بصدور سبعة مجلدات هي حصيلة قصائدك التي كتبتها خلال ستين عاماً. كيف تنظر إلى بدايتك الشعرية اليوم؟
الأسلوبية اختلفت والأشكال تعددت، لكن صبوة الشعر لم تتغير، بمعنى البحث عن عالم أفضل وعن مغامرة في الحياة ومن أجل الجمال. الصبوة والمغامرة كانتا موجودتين منذ بدايتي الشعرية. وأعتقد أن الفن هو علاج لمحدودية الإنسان كإنسان، لأنّ الفن يجعل المرء مختلفاً، ويجعله أعلى وأسمى من حقيقته البيولوجية.

كتابي الشعري الأول صدر وأنا ما زلت في الجامعة عام 1952، وعنوانه «القرصان»، وهو عبارة عن قصيدة طويلة تتحدث عن مغامرات بحرية. وموضوع الكتاب ذو علاقة بتاريخ البصرة وما يجاورها من الهند وبلدان الخليج. ويضمّ أيضاً استعادة رمزية لجدي الذي اتهم بجريمة قتل في العراق، فاضطر إلى الهرب إلى الهند، وظلّ هناك سنوات ثم عاد، حين انتهت مدة عقوبته.

2- تجربتك في الحزب الشيوعي العراقي ومع بدر شاكر السياب طبعت جزءاً من تجربتك ومزاجك الشعري. كيف تستعيد هاتين التجربتين؟
بالتأكيد، وما زالتا. عام 1949، وكان عمري خمس عشرة سنة، كنت عضواً في الحزب الشيوعي العراقي. وأيضاً عام 1949، أعدم قادة الحزب الشيوعي: فهد ورفاقه وانتهى التنظيم وتفكك. بعدها بفترة لم تكن طويلة، بدأ التنظيم يعود تدريجاً. قيل لي إن رفيقاً لي سيأتي ويعيد اتصالي بالتنظيم. ذهبت

لندن - مصطفى مصطفى

«الشيوعي الأخير» احتفل أخيراً بصدور أعماله الشعرية الكاملة في سبعة مجلدات عن «دار الجمل» تضم قصائده التي كتبها بين عامي 1952 و2014. سعدى يوسف الذي ولد في البصرة عام 1934، غادر العراق نهائياً عام 1968، ليشرع مغامرته الشعرية على جهات الريح الأربع. الشاعر الهارب من جحيم «ميسوبوتاميا»، ستمدد قصائده على خرائط سوريا ولبنان والجزائر واليمن وفرنسا وبريطانيا، وستبقى الصبوة الشعرية شمعته الأتيرة في ليل المنافي.

نظر إلى الأسفل في بدايته الشعرية، فوجد أربعة عشر قرناً من الشعر العربي. تساءل: «أين أنا بين هؤلاء الشعراء؟». تسأول دفعه إلى بحث خيميائي في اللغة العربية، متمزداً على البلاغة اللغوية والنبرة العالية والضجيج اللفظي. طوال ستين عاماً، راح يقصّ معجمه الشعري الخاص من صخر اللغة، بحثاً عن الجوهر وروح الصنعة. ويمزّن حواسه على الارتطام بالواقع والمعيش. جاءت قصيدته مكهربة بالحياة، ولا تنفصل عن شخص شاعرها وسلوكه ومزاجه.

«الأخبار» التقته في هذه المناسبة، ولم تفتنا كهراء الشباب التي أشاعها الشاعر في الأمسية التي نظمتها «موزايك رومز» ومجلة «بانيبال» في لندن. بقرط في أذنه اليسرى، وقلادة ذهب تحمل خريطة العراق، بدا أن الشاعر العراقي الذي احتفل أخيراً بعيد ميلاده الثمانين، هو آخر عمالقة «أرض النبوءات». سألناه عن روح صنعة الشعر، ومغامرته في الحياة، والحزب

بقرط في أذنه اليسرى، وقلادة ذهبية تحمل خريطة العراق، بدا أن «الشيوعي الأخير» الذي احتفل أخيراً بعيد ميلاده الثمانين، هو آخر عمالقة «أرض النبوءات». طوال ستين عاماً من الممارسة، كانت قصيدته مكهربة بالحياة، لا تنفصل عن شخصه وسلوكه. قبل فترة، قدم أمسية في لندن بمبادرة من «موزايك رومز» ومجلة «بانيبال» فيما صدرت أخيراً أعماله الكاملة في سبعة مجلدات عن «دار الجمل» تضم قصائده بين عامي 1952 و2014. «الأخبار» التقته في لندن للحديث عن روح صنعة الشعر، ومغامرته في الحياة، والحزب الشيوعي وبدر شاكر السياب والقصيدة اليومية والمشهد الشعري اليوم من أوروبا إلى العالم العربي

الإعلامي جورج قرداحي
«أقني»
مع راشيل كرام
الأربعاء
11 ليول
5pm
100.9 / 101.1 / 101.3 FM
www.jarasfm.com

Rachel Karam
@Karamrachel